

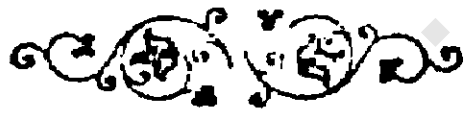
الدرة البديعة

من

حكم الكاتب البليغ الأشهر

عبد الله بن المنقوع

الطبعة الخامسة. بنفقة. كمال عاصم



مطبعة الرغائب

بمصر باول تنازع درب الجمالين

سنة ١٩١٠ م

١٣٢٨ هـ



* كلمه *

﴿ الى الناشئة الفاضله ﴾ -

اليكم اخواني الناشئة الفاضلة كلمة من صغير بلغ الثالثة عشر ربيعاً من العمر فتح عيذه فرأى الحرب القائمة على ساق وقدم بين جيش الفضيلة والريضة حتي ظفرت الثانية بالاولى او كادت الامر الذي حدى بكتاب العصر وفضلائه ان مجردوا اقلامهم « اقلام الحكمة » سيوفاً بواتر لنصر الفضيلة وهم رجالها فتفتنوا وقد اتوا بكل اسلوب عجيب اشهاراً للفضيلة ومبادئ النبيله وتشهيراً بالريضة وسحقاً لها وبيها الويلة فاحبت محارات هؤلاء الفرسان وان لم يكن لي فرس ولا قدرة على الجولان الا ان هي النفس الهامة لم يقف غلايانها

الا بذلك وعليه فقد اخترت ما كان اختاره سلالة الامراء
 الامثال « الامير شكيب ارسلان » وهو كتاب الدرة اليتيمة
 للكتاب البليغ عبدالله ابن المقفع متشلا بقول القائل
 قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره
 هذا واني اعد اخواني الشبيبة الراقية بمواصلة طبع وتقديم ما
 تصل اليه يد البحث والتنقيب ويقع عليه الاختيار بعد الاختبار
 من الرسائل النادرة النشرة لاعلام الفضيلة ومكارم الاخلاق
 واملى كبير بموازرتهم وتعميم هذا المبدأ القويم : والله حسبي

ملتزم الطبع

ونعم الوكيل

كمال عاصم

مقدمته

- بقلم سعادة الامير شكيب ارسلان -

ابداً بحمد الله المنشىء البديع على مزيد نواله واشفع
 بالصلاة على رسول الله السيد الشفيع وعلى صحبه وآله
 وبعد فقد رأينا اخواننا طلاب البرية اعظم ما كانوا
 عليها منذ امد اقبالا واشد ما عانوا في تجري فوائدها ايجافاً
 وايغالا واحث ما وجدناهم في سبيلها اجتهداً وابصر ما عهدناهم
 في مظان تعميلها ارتياداً رأينا الجمل الغفير منهم والخلق يقال
 دأباً في اصلاح نفوسهم وتكميل ملكهم حريصاً على تقويم لسانه
 واحكام بيانه متوخياً طرق الانطباع على بليغ الكلام منهجاً
 خطاط الوصول الى النطق العالية من القول مما يجب ان
 يلتبس في كتب السلف وينشد في منشآت الاولين من اهل
 هذا اللسان السابقين في حلبة البيان بالاستكثار من حفظ
 تراكيهم وتمدي أساليبهم ومحاكاة نعمتهم والاعتناء على

أمثلتهم حتى تحصل المعاني منهم ملكة راسخة يصدر عنها في
 انشاءه فلا يكون من شأنه ان يعلو ويسفل ويغلو ويبدل
 ولكنه يجري على نمط متناسب ويفرغ في قالب واحد
 وكانت هذه الغاية وتلك العناية بصناعة الانشاء عموماً وبهذا
 النوع المرسل منه خصوصاً اجدر ما تصرف نحوه المهمة وافضل
 ما تثني اليه اللازمة لا سيما في هذا العصر الذي ازدهت فيه
 المعاني وتعددت الناحي وتضاعفت المقاصد واختلفت المواضع
 وتوسع فيه من أمكنة القول ما كان من قبل حرجاً واوجد
 فيه ما لم يكن موجوداً وأخرج ما لم يكن مخرجاً وهو الذي
 اشتبكت فيه الوسائل وأثت الملائق وتطالعت العقول
 وتكشفت الالباب وتشارفت المعارف المتباينة وتشاركت
 المدارك المتباينة حتى كأن الامم أمة واحدة وكأن الامة فرد
 واحد في تناول البعيد وتقييد الشارد والاحاطة بالمجهول فتداعت
 من أجل ذلك المعاني من كل جانب كالسيل المتدفق والعارض
 المغدق على رؤوس السكتاب لا تجد منصرفاً الا من صناير
 الاقلام وأنايب اليراع وقد كان مكان الانشاء كما كان على

أدائه من العناية حقه وتوفيره من المزاولة قسطه والزمان على
غير هذا الوضع ونطاق العلوم أضيق ومقاصد الكلام ولا ريب
في كثير أقل ومواطن التعبير تكاد تكون محصورة في جم
من المواضيع فكيف بالكاتبين والعربيين من أهل هذه الأيام
وقد لزمهم من أدوات الكتابة بعض ما يلزم غيرهم واعترضهم
كثير من عقباتها التي لم تعترض من قبلهم ومستبهم الحاجة
إلى استغراق سبل هذه المعاني بمادة غزيرة وعدة متينة من
الألفاظ على نسق مجود من التراكيب فإن المعاني إذا كثرت
على الألفاظ ضاقت دونها ذرع الكتابة فذهبوا في إبرازها إلى
الخلق وعرضها على الأذهان مذاهب الضعف ومسالك السخف
فأفسدوا لغتهم وأعجبوا منطقهم وإذا كثرت الألفاظ على
المعاني بين قوم سادت بينهم الصناعة اللفظية ولهي المشتغلون
بنوع من الحفظ لم يقصد لذاته فكان العي والحصر أحسن
منه فكانت البنية كل البنية في تناسب القوتين وتعادل المتين
وتضارع المادتين حتى يتوفر لكل معنى تذيده من اللفظ
ويتسنى بازاء كل مغزى ضريبه من السبك ويودع كل خاطر

قالبه الالقي ويلبس كل فكر ثوبه الالبق وهي غاية من أبعاد
البعيد وعقبة عنود لدى التصعيد ولكنها رأس النصح في خدمة
اللغة وأول الواجب في حق اللسان وإنما يتذرع الى تسهيلها
وتعميد طرق تحصيلها بأدمان النظر وإدامة السهر في التطبع على
بلاغة الأولين وتقليد مناهج السالفين وكذلك كانت ألسني
ما تخدم به هذه اللغة الشريفة لهذا العهد إثارة دفائن كنوزها
ونفض كنائز رءوسها واستخراج جواهرها التي أحرز منها
النزر اليسير وبقي الجرم الكثير وأنه لو لم يكن بين أيدينا وإيم
الله كلامه القديم وحديث رسوله عليه التحية والتسليم وأنهما
بهذا اللسان لحكما بأن هذه العربية لم تنزل بكر آلم تفتزع وسراً
لم يفتزع لقلّة ما وصل الى أيدي طلابها من نقائسها وكثرة
ما احتجب عن أعين خطابها من عرائسها فإن أكثر مشاهير
الكتاب ومصاقع الخطباء من أهل المئات الأول بعد الهجرة
لم تفتقر الايدي بكلامهم الا قليلاً منه منشوراً في بعض التأليف
والمجاميع متفرقاً منقطعاً بعضه عن بعض مع أنهم العمدة في
هذه الغاية والقدوة في هذا السبيل والناس في الادب انما تلتقط

من فضلات آدابهم وتترشف من أسرار مشاربهم ولذلك جعلت
 من بعض همي مع علم اتساع البال ونصب النفس لهذه
 الاشغال التقيب عن بعض آثار القوم اهل هذا الشأو البعيد
 والشأن الطائر حتى ظفرت وأنا في هذه الايام بدار الخلافة
 العظمى بجملته من الكتب منها هذه الدررة اليتيمة لعبد الله بن
 المقفع المذمى المشهور من كتب كتاب كليله ودمنه فاخترت عموم
 الفائدة بطبعها لانها مع صغر حجمها قد جمعت بين أعلا طبقات
 البلاغة وأسمى درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ
 والحجج الدوام ما لم يتشعنه كتاب قبلها ولا بعدها فكانت
 حرية بان يتخذها الكاتب مستنجع له وحماسة قلبه وان يجعلها
 دستور انشائه ومثال احتذائه وحقيقة بان يتخذها الانسان
 نصب ناظره وشغل خاطره يهتدي بنور حكمها في ظلم الحاضر
 ومدلمات المستقبل ويتدرب بما أوفضته من سبل التصرف الحكيمه
 ونهجته من جواد انكسر القريمة علي امتزاج حكمها بقواعد
 الكون ودسولها تحت طير الدلووق وما انا محدث عن ابن
 المقفع وهو رب هذا الامر وواسطة هذا المقاد وفي شهرته

ما يعني عن الافاضة والاشارة وفي الاطلاع على هذه الرسالة
 ما يكتفي الشاهد مؤونة شهادة وامري لو استفرغ مجهد وسعه
 في اهداء ارباب الاقلام طرفه تعجبهم فقد صاراه نشر كلام من
 ابن المقفع اذ لا يجد في هذا الباب اجزل لهم نفعاً ولا أسنى
 لديهم وقتاً ولذلك كان لاشبهه عندي في ان ما توحيته من الفائدة
 يلاقى اقبال الطالب ويقتضي ثناءهم بحسن الانتخاب فقد يكون
 من فضل الرء في حسن انتقاء ما يربو على فضله في حسن
 انشائه اذ كان من الاختيار ما هو أنطق بانفضل وأدل على
 العقل على حد قول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلاً على اللبيب اختياره

﴿ ترجمة ابن المقفع ﴾

هذا ما اخترنا لخبره عن وفيات الاعيان في امر صاحب
 هذه الرسالة فهو عبد الله ابن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة
 صاحب الرسائل البديعه وهو من أهل فارس وكان نبوسياً
 فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والنصور العباسيين ثم

كتب له واختص به ومن كلامه (شربت الخطب رياء ولم
أخبط لها رويًا قضايت فلا هي نظامًا وليست غيرها كلامًا)
قال الهيثم بن عدي جاء ابن المقفع الى عيسى بن علي فقال له
قد دخل الاسلام في قلبي وأريد ان أسلم على يدك فقال له
عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان
الغد فاحضر ثم حضر طعام موسى عشيّة فجلس ابن المقفع يأكل
ويزمر (١) على عادة المجوس فقال له اترمز و انت على عزم
الاسلام فقال كرهت ان أبيت على غير دين فلما أصبح اسلم
على يده وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكي الجاحظ
ان ابن المقفع ومطيع ابن اياس ويحيى ابن زياد كانوا يتهمون
في دينهم قال بعضهم كيف نسي الجاحظ نفسه وقال الاصمعي
قيل لابن المقفع من أدبك قال نفسي اذا رأيت من غيري
حسنًا آيته وان رأيت قبيحًا آيته واجتمع ابن المقفع بالخليل

(١) الزمزمة تراطن العروج على اكهم وهم صموت لا يستعملون
لسانًا ولا شفة ولكنه صوت تديره في خياشيمها وحلقها فيهم بعضها
عن بعض (القاموس)

بن احمد صاحب العروض فلما اذترقا قيل للخليل كيف رأيته
 قال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيته الخليل
 فقال عقله اكثر من علمه ويقال ان ابن المقفع هو الذي وضع
 كتاب كليله ودمنه وقيل انه لم يضعه وانما كان بالفارسية فنقله
 الى العربية وان الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه
 وقال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيراً من المصنفات الحسان
 منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في غيرها مثلاً هذا وكان ابن المقفع
 يعبت بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أمير
 البصرة وينال من عرضه وكثر ذلك منه وذكر الهيثم بن عدي
 انه كان يستخف بسفيان كثيراً وكان انف سفيان كبيراً فكان
 دخل عليه فقال السلام عليكما يعني نفسه وانفه وقال له يوماً
 ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة يسخر به وقال
 سفيان يوماً ما ندمت على سكوت قط فقال ابن المقفع الخرس
 زين لك فكيف تندم عليه فكان سفيان هذا شديد الحق
 عليه يترقب فرصة لقتله وكان عبد الله بن علي العباسي قد خرج
 علي ابن اخيه المنصور فارسل اليه المنصور جيشاً مقدمه ابو

مسلم الخراساني فانتصر عليه وهرب عبد الله بن علي الى اخويه
سليمان وعيسى فاستتر عندهما فتوسطا له عند المنصور فقبل
شفاعتهما فيه وانفقوا على ان يكتب له اماناً وهذه الواقعة
مشهورة في التواريخ فلما ان اتيا البصرة قال لعبد الله بن المقفع
اكتب انت وبائع في التأكيد كيلا يقتله المنصور فكتب ابن
المقفع الامان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله ومتى غدر أمير
المؤمنين بعنه عبد الله بن علي ففساؤه طوالق ودوابه حبس
(١) وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته وكان ابن
المقفع يتنوع في الشروط فلا وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه
وقال من كتب هذا فقالوا رجل يقال له عبد الله بن المقفع
يكتب لاعمامك فكتب الى سفيان متولى البصرة المتقدم
ذكره يأمره بقتله وكان صدر سفيان موغراً منه فقتله شر قتله
واختلفت الروايات في كيفية قتله فقيل انه أمر بتنوير فسجر
(٢) ثم أمر به فقطعت أطرافه عضواً عضواً وهو يلقيها في
التنور وهو ينظر حتى أتى على جميع جسده وقيل القاه في بحر

(١) مجسة عن الرعي (٢) سجر التنور ملاء وقوداً

لمخرج وردم عليه الحجارة وقيل بل أدخله حماماً وأغلق عليه
 الباب فاختنق وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار
 سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصمه الى المنصور واحضراه اليه
 مقيداً وحضر الشهود الذين شهدوا وقد دخل داره ولم يخرج
 فأقاهوا الشهادة عند المنصور فقل لهم المنصور انا انظر في هذا
 الامر ثم قل ارايت ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من
 هذا البيت وأشار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني فاعلا بكم
 اذ قتلتمكم بسفيان فرجموا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى
 وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضى المنصور ويقال
 انه عاش سناً وثلاثين سنة وكان قتله سنة اثنتين وأربعين ومئة
 وقيل سنة خمس وأربعين وقيل ان سليمان بن علي العباسي توفي
 سنة اثنتين وأربعين وعلى هذا تكون الرواية الاولى هي
 الصحيحة ولا بن المقفع شرمذ كور في كتاب الحماسة والمقفع
 بضم الميم ونصح القنف وتشديد القاء رقتها واسمه داذويه وكان
 الحجاج ولأه خراج فارس فديده الى الاموال فمذبه فتتمعت
 يداه فسمى بذلك وقيل بل ولأه خالد بن عبد الله القسري

وعذبه يوسف بن عبد الله بن عمر الثقفي لما تولى العراق بعد
 خالد وقال ابن مكي في كتاب تثقيف اللسان ويقولون ابن
 المقفع والصواب بكسر التاء لانه كان يعمل القناع ويبيعها
 والقناع بكسر التاء جمع قنعة بفتح القاف شيء يعمل من
 الخوص شبيه بالزناجيل لكنه بغير عروة والقول الاول هو
 المشهور بين العلماء (انتهى بتصرف)



الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين
قال عبد الله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساداً
وأوفر مع أجسادهم أحلاماً وأشد قوة وأحسن بقوتهم للامور
اتقاناً وأطول أعماراً وأفضل بأعمارهم للأشياء اختباراً فكان
صاحب الدين منهم ابلغ في امر الدين علماً وعملاً من صاحب
الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل
ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتي اشركونا
معهم فما أدركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب
الباقية وكفونا به مؤونة التجارب والفطن وبلغ من اهتمامهم
بذلك ان الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم والكلمة
من الصواب وهو بالبلد غير المأهول فيكتبه على الصخور مبادرة

منه للابل وكرامية لان يستطاع ذلك على من بعده (١) فكان
صديقهم في ذلك صديق الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذي
يجمع لهم الاموال والمقد (٢) ارادة ان لا تكون عليهم مؤونة
في الطلب وخشية عجزهم ان هم طلبوا فنتهي علم عائنا في هذا
الزمان ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسنا ان يقتدي
بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثا ان ينظر في
كتبهم فيكون كأنه ايام يخاور وسهم يستمع غير ان الذي
نجد في كتبهم هو المتشبه في آرائهم وانتهى من احاديثهم ولم
تجدهم غادروا شيئا يجد واصف بليغ في صفة له مقالا لم يسبقوه
اليه لا في تعظيم الله عز وجل وترغب فيما عنده ولا في تصغير
للدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامها
وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين ما خدعهم ولا في وجوه
الادب وضروب الاخلاق فلم يبق في جليل من الامر لقائل
بعدهم . قل وقد بقيت أشياء من لطائف الامور فيها مواضع

{ (١) اي يفوته (٢) جمع عقدة وهي العقار الذي اعتقده

لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن
ذلك بعض ما انا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب
التي يحتاج اليها الناس

يا طالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيراً
من الناس يطلبون الفصول مع اضاءة الاصول فلا يكون
دركهم (١) دركاً ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول
وان اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل

فأصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب
وتجتنب الكبائر وتؤدي الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء
به عنه طرفة عين ومن يعلم انه ان حرمه هلك ثم ان قدرت ان
تجاوز ذلك الى التفقه في الدين والعبادة فهو افضل واكمل*
واصل الامر في اصلاح الجسد الا تحمل عليه من المأكول
والشارب والباء الا خفافاً وان قدرت على ان تعلم جميع منافع
الجسد ومضاره والا انتفاع بذلك فهو افضل* وأصل الامر

(١) الدرك والدرك اللحاق والوصول الى الشيء واستعمل منه

في الناس الا تحدث نفسك بالادبار واصحابك مقلوب على
 عدوهم ثم ان قدرت ان تكون اول حامل وآخر منصرف من
 غير تضيق للحذر فهو افضل * واصل الامر في الجود الا
 تضمن بالحقوق عن اهلها ثم ان قدرت ان تزيد ذا الحق على
 حقه وتناول على من لاحقه فانعل فهو افضل « واصل الامر
 في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على
 بارع السواب فهو افضل « واصل الامر في المعيشة ان لا
 تني عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما نفيد وما تنفق
 ولا يفرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في
 الدنيا خطرا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير
 من السوق لان السوق قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام
 لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللف في الطلب
 والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور
 الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقا ان تعلمها وان لم
 تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولا لتروض

نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساوئها فان الانسان قد يتبدل اليه في شبيته نساوي وقد يغلب عليه ما يدر اليه منها ان ابتليت بالامارة فتعود بالعلماء واعلم ان من العجب ان يتلى الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته وانما الرأي له والحق عليه ان يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه وطوره ونسائه فاذا تقلدت شيئاً من الاعمال فكن فيه احذر جلين اما رجلاً معتبطاً به يخافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلاً كارهاً فالكاره عامل في سخرة اما للملوك ان كانوا هم سلطوه واما الله ان كان ليس فوقه غيره وايك اذا كنت والياً ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من التلم يتحمون عليك منها وباباً يفتحونك منه وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منها

اعلم ان قابل المدح كمدح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له محمود والقابل له معيب . انتكن حاجتك في الولاية الى ثلاث خصال رضى ربك

ورضى سلطان ان كان فوقك ورضى صالح من تلي عليه وما عليك ان تلهو عن المال والذكر فسياتيك منهما ما يكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بدأ

اعرف اهل الدين والمرؤة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ولا يتخذن في روعك انك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك فانك لست تريد الرأى للافتخار به ولكن تريده الانتفاع به ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأى

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس مالا يدرك وكيف يتفق لك رأى المختلفين وما حاجتك الى رضى من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوي العقل فانك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه

لا تمكن اهل البلاء من التذال ولا تمكن من سواهم
 من الاجترأ عليهم والعيب لهم (١) « لتعرف رعيته ابوابك
 التي لا ينال ما عندك من الخير الا بها والابواب التي لا
 يخافك خائف الا من قبلها احرص الحرص كله على ان تكون
 خيراً بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان
 تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعلمك قبل ان
 يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك انك لا تعاجل
 بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف
 ورجاء الراجي

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع
 لمرارة قولهم وعذلم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لاهل العقب
 والسن والمرؤة لئلا ينتشر من ذلك ما يجترى به سفيه او
 يستخف له شأن لا تركز مباشرة جميع امرك فيعود شأنك
 صغيراً ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً

اعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم وان مالك لا
يعني الناس كلهم فاخص به ذوي الحقوق « وان كرامتك لا
تطبق العامة فتوج بها اهل الفضائل « وان ليلك ونهارك
لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى
ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فاحسن قسمتهما
بين دعتك وعملك : واعلم انك ما شغلت من رأيك بغير
المهم ازري بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين
تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضر
بك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك
في غير الحاجة ازري بك في الحاجة

اعلم ان من الناس ناساً كثيراً يبلغ من اعدام الغضب
اذا غضب ان يحمله ذلك على السكاح والتقطيب في وجه غير
من اعضبه وسوء النطق لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن
يهم بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به
الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى ان يتبرع بالامر
ذى الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن اعطاه

ويكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله فإنه ليس
لحد أسوأ حالا من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في
غضبهم وسرعة رضاهم فإنه لو وصف بصفة من يتلبس بعقد
او يتخطه الس من يعاقب في غضبه غير من اغضبه ويحبر
عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزاً في صفته

اعلم ان ثلث ثلاثة . ملك دين . وملك حزم . وملك
هوى . فاما ملك الدين فإنه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم
هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك
ونزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم . واما
ملك الحزم فإنه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط
ولن ينسرح طعن الذليل مع حزم القوي . واما ملك الهوى
فامب ساءة ودمار دهر

اذا كان سلطانك عند جلة دولة فرأيت امراً استقام
بغير رأى واعواناً جزوا بغير نيل وعملاً الشحيح بغير حزم
فلا ينرك ذلك فلا تستم اليه فان الامر الجديد لما تكون
له مهابة في نفس اقوام وحلاوة في نفس آخرين فيعين قوم

بأنفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الأمر غير طويل
 تم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الأمر
 بنى على غير اركان وثيقة ولا عماد محكم أو شك ان
 يتداعي ويتصدع

لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة
 والبشاشة فان احدهما من الكبر والاخرى من السخف
 اذا كنت لا تضبط أمرك ولا تصول على عدوك الا بقوم
 لست منهم على ثقة من رأي ولا حفاظ من زية فلا تنفك
 نافعة حتي تحولهم ان استطعت الى الرأي والادب الذي بمثله
 تكون الثقة أو تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريد ولا
 تغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذي
 يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته .
 وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير
 ما يريد . وليس له ان ييخل لانه اقل الناس عذراً في تخوف
 الغمر وليس له ان يكون حقوداً لان خطره قد عظم عن

مجازاة كل الناس . فليتق ان يكون حلفاً واحق الناس
باتقاء الايمان للملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه
الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق
الناس اياه . واما عى بالكلام حتى يجعل الايمان له حشواً
ووصلاً واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه
منزلة من لا يقبل منه قوله الا بعد جهد اليمين واما عبث في
القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير

لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من
امره وفوض ما دون ذلك الى الكفاة

كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره
بعين الرية وقلبه بعين المقت فانهما يريان الجور ويحملان على
الباطل ويقبحان الحسن ويحسنان القبيح واحق الناس باتهام
عين الرية وعين المقت الملك الذي ما وقع في قلبه ربا مع ما
يقيض له من تزيين القرائن والوزراء واحق الناس باجبار نفسه
على العدل في النظر والقول والفعل الوالى الذى ما قال او
فعل كان امراً نافذاً غير مردود

ليعلم الوالى ان الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان
الود فاليكابد نقض قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة
صفات السوء التي يوصفون بها

ليتنقد الوالى فيما يتفقد من امور الرعية فاقية الاحرار
منهم فليعمل فى سدها وطغيان السفلة منهم فليقمعه وليستوحش
من الكريم الجائع واللائم الشبعان فانما يصول الكريم اذا
جاع واللائم اذا شبع . لا يحسدن الوالى من دونه فانه فى ذلك
اقل عذراً من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكل لا عذر
له . لا يلو من الوالى على الذلة من ليس بمتهم على الحرص على
رضاه الا لوم ادب وتقويم ولا يعدان بالمجاهدة فى رضاه البصير
بما يأتى احداً فانهما اذا اجتمعا فى الوزير او صاحب نام موالى
واستراح وجلبت اليه حاجاته وان هداً عنها وعمل فيما يهده
وان غفل . ولا يولعن الوالى بسوء الظن لقول الناس وليجعل
لحسن الظن من نفسه نصيباً موفوراً يروح به عن قلبه ويصدر
به اعماله . لا يضيعن الوالى الثابت عند ما يقول وعند ما يعطي
وعندما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع

عن الكلام وان العطية بعد المنع اجل من المنع بعد الاعطاء
وان الاقدام على العمل بعد التأني فيه احسن من الامسالك عنه
بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبيت واحوجهم اليه
ملوكهم الذين ليس اقوالهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستح
ليعلم الوالى ان الناس على رأيه الا من لا بال له منهم
فليكن للبر والمرؤة عنده نفاق فيستكسب بذلك الجور والدناءة
فى آفاق الارض

جماع (١) ما يحتاج اليه الوالى رايان . رأيي يقوي
سلطانه . ورأيي يزينه فى الناس . ورأيي القوة احقها بالبداية
واولاهما بالاثرة . ورأيي التزيين احضرهما حلالة واكثرهما
اعواناً مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة ليكن
الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فليكن بطول الرابطة فى غير
معاقبة ولا يحدثن بك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً . اذا رأيت
احدكم يجعلك اخاً فاجعله اباً ثم ان زادك فزده . اذا نزلت من
جماع (١) جماع الشئ جمعه ومنه الخمر جماع الاثم

ذي منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيرا
 واجلالا من غير ان يزيدك ودا ولا نصحا وانك ترى حقا
 له التوقير والاحلال وكن في مداراته والرفق به كالمؤتف (١)
 ما قبله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من
 اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدل
 على ذي السلطان بقدمه قد اضر به قدمه . لا تعتذرن الا الى
 من يحب ان يجد لك عذرا ولا تستعينن الا بمن يحب ان
 يظفر لك بحاجتك . لا تحدثن الا من يرى حديثك مغنا ما
 لم يغلبك الاضطرار . اذا غرست من المعروف غرسا وانفقت
 عليه نفقة فلا تضن بالنفقة في تربية ما غرست فتذهب النفقة
 الاولى ضياعا . اذا اعتذر اليك معتذر فقلقه بوجه مشرق وبشر
 طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمه

اعلم ان اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . زينة في
 الرخاء . وعدة في الشدة . ومعونة على المعاش والمعاد فلا تفرطن
 في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم . اعلم انك

(١) اثتف واستأنف واحد

واجد رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم
 بعض الابهة التي قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيرا
 ممن يرغب في امثالهم فاذا رأيت احدا من اولئك قد عثر به
 الزمان ذاقه . اذا عرفت نفسك من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل
 عنه كلام الملق ولا تكثرن من الدعاء له في كل كلمة فان ذلك
 شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس فلا
 تأل عما عظمه ووقره . ان استطعت ان لا تصحب من صحبت
 من الولاية الا على شعبة من قرابة أو مودة فافعل فان اخطأك
 ذلك فاعلم انك تعمل على عمل السخرة وان اسطعت ان تجعل
 صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروتك قبل ولايته فافعل
 ان الوالى لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا
 ولى فكل الناس يلقاه بالترين والتصنع وكلهم يحتال لان يثني
 عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والانذال هم اشد لذلك
 نصنعاً وعليه مكابرة وفيه تمحلا فلا يتمتع الوالى وان كان بليغ
 الرأي والنظر من ان ينزل عنده كثير من الاشرار بمنزلة
 الاخير وكثير من الخاونة بمنزلة الامناء وكثير من الغدرة بمنزلة

الاوفياء ويغطي عليه امر كثير من اهل الفضل الذين يسوونون
 انفسهم عن التمثل والتصنع . لا يعرفك الولاة بالهوى في
 بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها
 الى حكاية او مشاهدة فتتهم في ذلك واذا اردت ان يقبل قولك
 فصح رأيك ولا تشعره بشيء من الهوى فان الرأي يقبله
 منك العدو والهوى يردده به عليك والذواحق من احترست
 من ان يظن بك خلط الرأي بالهوى الولاة فانها خديعة وخيانة
 وكفر . ان ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم انك
 قد خيرت بين خلتين ليس بينهما خيار اما ميلك مع الوالى
 على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالى
 وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب . واعلم
 انه لا ينبغي لك وان كان الوالى غير مرضي السيرة اذا علق
 حبالك بحبله الا المحافظة عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل
 سبيلا . تبصر ما فى الوالى من الاخلاق التي تحب والتي تكره
 وما هو عليه من رأى الذي يرضى له والذي لا يرضى ثم
 لا تكابر به بالتحويل له عما يحب ويكره الى ما تحب وتكره

فإن هذه رياضة صعبة محمل على التثاني والتثلي . واعلم أنك كلما
تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالكابرة والناقضة
وإن لم يجمع عن السلطة ولكنك تقدر أن تعينه على احسن
رأيه وتسبب له منة وتقويه فيه فاذا قويت منه المحاسن كانت
هي التي تكفيك المساوي واذا استحكمت منه ناحية من الصواب
كان ذلك هو الذي يبصره الخطأ بالظن من تبصيرك واعدل
من حكمك في نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضاً ويدعو
بعضه الى بعض فاذا كانت له مكانة اقتلع الخطأ فاحفظ هذا
الباب واحكمه . ولا يكونن طلبك ما عند الوالى بالمسألة ولا
تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له
واستأن وان طالت الاناء فانك اذا استحقته اتاك من غير
طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له لا تخبرن الوالى ان لك
عليه حقاً وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك
وبلاءك فافعل . وليكن ما تذكره من ذلك تجديده له
النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخره اول
بلائك . واعلم ان ولي الامر اذا انقطع عنه الآخر نسي الاول

وان الكثير من أولئك ارحامهم مقطوعة وحبائهم محرومة
 الا عمن رضوا عنه وأغنى عنهم في يومهم وساعاتهم . اياك ان
 يقع في قلبك تعتب على الوالى أو استزادة له فانه ان آنت
 ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليماً وبدأ على
 لسانك ان كنت سفيهاً وان لم يزد ذلك على ان يظهر في وجهك
 لا من الناس عندك فلا تأمن ان يظهر ذلك للوالى فان الناس
 اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه
 هو اسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فحق ذلك حسناتك
 للماضية واشرف بك على الحلالك وصرت تعرف امرك مستديراً
 وتلتمس مرضاته مستصعباً . اعلم ان اكثر الناس عدواً مجاهراً
 حاضراً جريئاً واشياً وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه
 منقوس (١) عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما
 يحسد غير انه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان من محاسديه
 احباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل والمنازل وهم وغيرهم
 من عدوه الذين هم حضاره وليسوا كعدو من فوقه النائي عنه المكتم

(١) نفس عليه نفساً ونفاسة حسده

منه وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل
فأعرف هذه الحال والبس لهؤلاء القوم الذين هم أعداؤك سلاح
الصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ثم روح من
قلبك كأنه لا عدوك ولا حاسد وأن ذكرك ذاكر عند ولي
الامر بسوء في وجهك أو في غيبك فلا يرين منك الوالى ولا
غيره اختلاطاً لذلك ولا اغتياضاً ولا يقعن ذلك موقع ما يكره
فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك اموراً مشبهة بالريب
مذكورة لما قال فيك العائب وان اضطررك الامر في ذلك الى
الجواب فايك وجواب الغضب والا تتقام عليك بجواب الحجة
في حلم ووقار ولا تشكن في ان القوة والغلبة للحليم ابداً .
لا تحضرن عند الوالى كلاماً لا يعني ولا يؤمر بحضوره الا
لناية به أو يكون جواباً لشيء سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالى
شتماً ولا اغلاظه اغلاظاً فان ربح العز قد تبسط اللسان بالفاظ
في غير سخط ولا بأس . جانب المسخوط عليه والفائزين به
عند الولاية ولا يجمعنك واياد مجلس ولا تظهرن له عنراً ولا
تثنين عليه خيراً عند احد من الناس فاذا رأيتة قد بلغ مرتبة

الاعتاب (١) مما سخط عليه فيه ما ترجو ان يلين له الوالى
 واستيقنت ان الوالى قد استيقن بمباعدتك اياه وشدتك عليه
 فضع عذرة عند الوالى واعمل فى ارضائه عنه فى رفق ولطف
 ليعلم الوالى انك لا تستنكف عن خدمته ولا تدع مع
 ذلك ان تقدم اليه القول عند بعض حالات رضاه وطيب نفسه
 فى الاستغناء من الاعمال التى يكرهها ذو الدين وذو العرض
 وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب واشباه ذلك

اذا اصبحت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك
 تغيرا على احد من اهله واعوانه ولا استغناء عنهم فانك لا تدري
 متى ترى ادنى جفوة فتدل لهم فيها وفي تلون الحال عند ذلك
 من العار ما فيه

ليكن مما تحكم من امرك ان لا تسار احدا من الناس
 ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السرار مما يخيل
 كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك فى نفسه حسيكة (٢)

(١) الرجوع عن الاساءة الى ما يرضى العاتب

(٢) الحقد والعداوة

ووغراً وثقلاً

لا تنهاون بارسال الكذبة عند الوالى او غيره في الهزل
فانها تسرع في رد الحق وابطال الصديق مما تأتى به . تنكب
فيما بينك وبين الوالى خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان
والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن
اثر او صواب رأى انه هو عمل في ذلك واثار به واقرار
بذلك اذا مدحه ماح بل وان استطعت ان يعرف صاحبك
انك تنحله صواب رأيك (١) فضلاً عن انك تدعى صوابه
وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل . فان الذي انت آخذ بذلك
اكثر مما انت معط باضعاف

اذا سأل الوالى غيرك فلا تكونن انت المحيب عنه فان
استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل
وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قل لك
المسؤول عند المسألة يعادله بها دونك فاجب . واذا لم ينصب
السائل في المسألة لرجل واحد وعم بها جماعة من عنده فلا

تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا توائب الكلام مواثبة
فان في ذلك مع شين التكلف والخفة أنك اذا سبقت القوم
الى الكلام صاروا لكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن
واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته المقوم اعترضت اقاويلهم
على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيات من تفكيرك
ومحاسن ما سمعت جواباً راضياً واستديرت به اقاويلهم حتى
تصيح اليك الاسماع ويهدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الكلام
حتى تكتفى بغيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من
العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوت ما فاتك من الجواب
فان صيانة القول خير من سوء وضعه وأن كلمة واحدة من
الصواب تصيب موضعها خير من مئة كلمة امثالها في غير فرصها
ومواضعها مع ان كلام العجلة والبدار موكل به اللزل وسوء
التقدير وان ظن صاحبه ان قد اتقن واحكم

واعلم ان هذه الامور لا تنال الا برحب الذرع عند
ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة او لم يظهر
وسخاوة النفس عن كثير من الصراب مخافة الخلاف والعجلة

والحسد والمرء

إذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه
بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر
هذا من نفسك وتعهد ما فيه

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم
اخواناً ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها
والعمل يوءمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان
يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك ويحتاج
اليه ويلتمس منك وانت مجمل واما ان لا يكون ذلك عندك
فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينك وما انت
واجد في موافقتك اياهم ولينك لهم من موافقتهم اياك وليتهم
لك افضل مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة

ولا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم
لك ومعرفتهم بفضل رأيك فأننا قد رأينا الناس يعرفون فضل
الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا
ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه

في الرأي والعلم فضل فاجتروا عليه بالخلاف والنقض فان
ناقضهم كان كاحدهم وليس بواجد في كل حين سامعاً فهماً
وقاضياً عدلاً وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي
مردود القول

اذا أصبت عند الوالي لطف منزلة لغناء يجده عندك أو
هو يكون له فيك فلا تطمحن كل الطماح ولا تزين لك
نفسك المزايلة له عن اليقه وموضع ثقته وسره قبلك بان
تقتله وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفه قد يبتلى
بها العلماء عند الدنو من ذي السلطان حتى يحدث الرجل منهم
نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه أو
نقص يظنه بغيره واسكل رجل من الملوك أو ذي هيئة من
السوقة اليق وانيس قد عرف روجه واطلع على قلبه فليست
عليه مؤنة في تبذل يتبذل له عنده أو رأي يستزله منه أو سر
يفشيهِ اليه غير ان تلك الأنسة وذلك التبذل يستخرج من
كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر عنه منذ الانقباض والتشدد
ولو التمس ملتصق مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته ومؤانسته

ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأي ممن قد كفى مؤانسته ووقع على طباغه لان الانسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يلزق بالقلوب الا ما لان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امراً ذا مؤنة (٢) فاذا كانتك نفسك السموم الى منزلة من وصفت فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك أو غيرك لعله ممن يكون له فضل في المروءة أنك أولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقائه فاذا ذكر الذي عليه من حق اليقه وثقته وانيسه في التكرمة والذي يمينه على ذلك من الرأي أنه يجد عنده من الالف والانس ما ليس واجد عند غيره فليكن هذا مما تتحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأي لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على الدخول دون أنيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم أنه تكاد تكون لكل رجل غالبية حديث اما عن بلده من

البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس
او وجه من وجوه الرأي وعند ما يعزم به الرجل من ذلك
يبدو السخف ويدرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل
موطن ثم عند اولي الامر خاصة لا لشكون الى وزراء
السلطان ودخلائه ما اطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك
لا تزيد علي ان تفضيهم ليله وتغريهم بتزيين ذلك له والميل
عليك معه

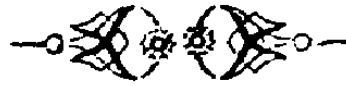
اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انه
يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والامور فاذا
آثر ان يكره كل ما يخالفه او يمتعض من الجفوة يراها في
المجلس أو النبوة في الحاجة أو الرد للرأي أو الادناء لمن
يهوى ادناءه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه
الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتي يبدو ذلك
للوالي وغيره كان ذلك لفساد منزلته سبباً فذل نفسك
باحتمال ما خالفك من رأي الولاية وقررها بانهم انما كانوا
أولياءك لتبعمهم في آرائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك

وتغضب من خلافهم اياك

اعلم ان الملوك يقبلون من وزراءهم التبخل ويعدونهم منهم
 مشفقة ونظراً ويحمدونهم عليه وان كانوا اجواداً فان كنت
 مبخلاً غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخياً
 لم تأمن اضرار ذلك بمنزلته عنده فالرأى لك تصحيح النصيحة
 على وجهها والتماس المخرج فيما تترك من تبخيل صاحبك بان
 لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلاً الى شيء من هوالك ولا طلباً
 لغير ما ترجوان يزيده وينفعه * لا تكونن صحبتك للملوك الا
 بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكر وه عندك وموافقهم
 فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا
 تكتهم سرّاً ولا تستطلع ما كتموه وتخفى ما اطلعوك عليه
 من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد
 في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبت لحجتهم والتصديق لمقالتهم
 والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا اساؤا وترك
 الاستحسان لما فعلوا اذا احسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم
 وحسن الستر لاساويهم والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيداً

والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم
يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه والتخفيف
عنهم لمؤنتك والاحتمال لهم كل مؤنة والرضى عنهم بالعفو وقلة
الرضى من نفسك لهم بالمجهود فان وجدت عنهم وعن صحبهم
غنى فاغن عن ذلك نفسك واعتزله جهداً فان من يأخذ عملهم
يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يأخذ بحقه
يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة . أنك لا تأمن
أنفسهم ان اعلمتهم ولا عقوباتهم ان كتمتهم ولا تأمن غضبهم
ان صدقتهم ولا تأمن سلواتهم ان حدثتهم ان لزمهم لم تأمن
تبرمهم بك (١) وان زالمتهم لم تأمن عقابهم . أنك ان تستأمرهم
حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه
مخالفتهم . انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك
تكافيت من رضاهم سالا تطيق فان كنت حافظاً ان بلوك جلدًا
ان قربوك أميناً ان ائتموك تشكرهم ولا تكافهم الشكر بصيرا
باهوائهم مؤثرا لمنافعهم ذليلا ان ظلموك راضيا ان اسخطوك

والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر



باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك وامر فتك وفدك ومحضرك
وللعامة بشرك وتحنتك ولعدوك عدلك واضنن بدينك
وعرضك عن كل احد . ان سمعت من صاحبك كلاما او
رأيا يعجبك فلا تنتحل به عند الناس واكتف من الزين
بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه . واعلم ان
انتحالك ذاك سخطه لصاحبك وان فيه مع ذاك عارا فان
بلغ ذاك بك ان تشير برأي الرجل وتكلم بكلامه وهو يسمع
جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشي في
الناس ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك
لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب اليه رايه
وكلامه وتزينه مع ذاك ما استطعت . لا يكون من خالقك

ان تبتدى حديثنا ثم تقطعه وتقول سوف كانك روأت (١)
 فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوه فان احتجان
 (٢) الحديث بعد افتتاحه سخر . اخزن عقلك وكلامك
 الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل
 الصواب وانما تمام اصابة الرأى والقول باصابة الموضع فان
 اخذاك ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تاتى به في غير
 موضعه وهو لا بهاء ولا طلاوة له . لتعرف العلماء حين تجالسهم
 انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول . ان آثرت ان
 تفاخر احداً ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك
 الجدل ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلاً فاذا بلغ الجدل او
 قارب فدهء ولا تخلطن بالجد هزلاً ولا بالهزل جدّاً فانك ان
 خالطت بالجد هزلاً هنجنته وان تخلطت بالهزل جدّاً كدبرته
 غير اني قد علمت موطناً واحداً فان قدرت ان تستقبل فيه
 الجدل بالهزل اصبحت الرأى وظهرت على الاقران وذلك ان

(١) روا في الامر تروية وترويضاً نظره فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب وهي
 الزهيدة وقيل الروية بغير همز وهو الاشهر (٢) احتجته حمزه او اختزنه

يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيه اجابة الهازل المداعب

برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يفضينك ذلك فاما

هو احد رجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع موطنه

لك اقربها من عدوك لشر يكفيه عنك وعورة يسترها منك

وغائبة يطعم عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره

ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأي حق

تقطع عن الناس وتكافه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من

هوى . تحفظ في مجلسك وكلامك من التناول على

الإصحاب وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب

القول والرأي مبدارة لئلا يظن اصحابك ان ما بك التناول

عليهم . اذا قبل اليك مقبل بوجه فسر كالا يدر عنك فلا

تنعم (١) الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على

ضرائب لو لم فمن شأنه ان يرحل عن لصق به ويلصق بمن

رحل عنه لا تكثرون ادعاء العلم في كل ما يعرض فسانك من

ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهمج منك على
الجهالة والصلف (١) واما الا ينازعوك ويخلوا الامور في يديك
فينكشف منك التصنع والمعجزة استحي الحياء كله من ان
تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً او معرضاً وان
استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آنت من
نفسك فضلاً فتخرج (٢) ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره
منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر
مما يقدر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر
ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفين عليك أن حرص
الرجل على اظهار ما عنده وقلة وقاره في ذلك من باب البخل
واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم ان
احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة
عند العامة وتسلك الجدد (٣) الذي لا جبار (٤) فيه ولا عثار

(١) تجاوز القدر في البراعة والظرف والادعاء فوق ذلك (٢)

تضييق (٣) ما استوى من الارض وفي المثل من سلك الجدد امن

العثار (٤) هالك

فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعي . فاما العلم فيرشبك واما قلة
ادعائه فينبئ عنك الحسد واما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ
حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار واذا رأيت رجلاً
يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه
ولا تتعبه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته فان
في ذلك خفة وشجاً وسوء ادب وسخفاً . ليعرف اخوانك
والعامة انك ان استطعت ان تكون الى ان تفعل ما لا تقول
اقرب منك الى ان تقول ما لا تفعل فعلت فان فضل القول
على الفعل عار وهجنة وفضل الفعل على القول زينة وانت حقيق
فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحتجن
بعض ما في نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرزاً
بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلمما يكون الا مقصراً
احفظ قول الحكيم الذي قال لتكن غايته فيما بينك
وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك أن
العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس
بينك وبينه قاض فانما حكمه رضاه

اجعل عامة تشبثك في موآخاة من توآخي ومبواصلة من
تواصل ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان
ظهر لك منه ما تذكره فانه ليس كالمرأة التي تطايقها اذا شئت
ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخذانه
فان عثر الناس على انك قطعت رجلاً من اخوانك وان كنت
معدراً (١) نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملا
وان انت صبرت مع ذلك على مقارنته على غير الرضى عاد ذلك
الى العيب والنقيصة فالآثاد والآثاد والتبث التثبت

اذا نظرت في حال من برئته لا خائك فان كان من
اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمرآء ولا حريص وان كان
من اخوان الدنيا فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب ولا
شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه وان
الكذاب لا يكون اخاً صادقاً لان الكذب الذي يجري على
لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من
الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا

(١) اعذر الرجل اذا بلغ اقصى الغاية من العذر

ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة
لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شائع صاحبه
تحرز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب
فانه ليس من هذا شيء الا وهو ربح الجنة تسلب العقل
وتذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن
المنافع

اعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك البداوة وان تفرشك
(١) لهم يكسبك صديق السوء وفسولة (٢) الاصدقاء اضر من
بغض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره
وان قطعت شائك اسم القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيبك ولا
ينشر عذرك فان المغايب تني والمعاذير لا تني (٣) البس
للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة الا
بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلقين الا متحفظاً
متشدداً متحرزاً مستعداً ولباس انبساط واستئناس تلبسه

(١) انبساطك (٢) ندالة (٣) تني الحديث ارفع وانهاد

اذاعه على وجه النسيمة

للخاصة من الثقة فستقام بينات صدرك وتفضي اليهم
بموضوع حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك
وبينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل لان ذا الرأي
لا يدخل احداً من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر
والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل

اعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغلب عليه عقلك وغضبك
وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتع وصارفه في محبته
فاذا غلب عليه عقلك فهو لك وذا غلب عليه شيء من اشباه ما
سميت لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكون
الا لك ولا يستولي عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول
بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمواساة فتشاركه في البلية
واما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك
وآثر مروتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأتي نفسك
مشاركة اخيك فيها فاجمل (١) فلعل الاجمال يسعك لقلته

في الناس

إذا أصاب أخاك فضل فإنه ليس في دنوك منه وابتغائك
 مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه
 إذا كانت لك عند أحد صنعة أو كان لك عليه طول
 فالتمس احباء ذلك بامائته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرن
 في قلة المن على ان تقول لا اذكره ولا اصغى بسمعي الى من
 يذكره فان هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا
 كرم ولكن احذر ان يكون في محالستك اياه وما تكلم به او
 تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة
 تهدم الصنعة وتكدر العروف . احترس من سورة الغضب
 وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء
 من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر
 العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبة الا بالجهاد
 وان قلة الاعداد موافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه
 ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوء غريزة وانما التفاضل
 بين الناس في مغالبة طبائع السوء فأما ان يسلم احد من ان

تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا ان الرجل
القوي اذا كابرها بالقمع لها كلها كلما تطلعت لم يلبث ان
يميتها حتى كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كمن النار في
العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة او غفلة استورت كما
تستوري عند القدح ثم لا يبدأ ضررها الا بصاحبها كما لا تبدأ
النار الا بعودها التي كانت فيه

ذل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس
السوء فان ذلك ما لا يكاد يخطبك فان الصبر صبر ان صبر
الرجل على ما يكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه
اكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطراً واعلم ان اللثام
اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح
بان يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشي او يده
قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون
لنفس غلوياً والامور محتملاً وفي الضر متجعلاً ولنفسه عند
الرأي والحفاظ مرتبطاً ولا يحزم مؤثراً وللهمى تاركاً وللمشقة
التي يزعج عاقبتها مستغنياً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات

مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو
لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك . واعلم ان العلم علمان علم
للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين وأحدهما ان ينشطله
صاحبه من غير ان يحرض عليه علم المنافع وللعلم الذي هو ذكاء
العقول وصقالها وجلالؤها فضيلة منزلة عند اهل الفضل في
الالباب : عود نفسك السخاء واعلم انهما سخا أن سخاوة
نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في ايدي الناس وسخاوة
نفس الرجل بما في يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه
المفاخرة وتركه ما في ايدي الناس المحض في التكرم وانزه من
الدنس فان هو جمعها فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم
ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا
تكون حسوداً فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يوكل
بالادني فالادني من الاقارب والا كفء الخلطاء فليكن ما تقابل
به من الحسد أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون مع من هو
خير منك وان غما لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل

منك في العلم فتقاس من علمه وأفضل منك في القوة فيدفع
عنك بقوته وأفضل منك في المال فتفيد (١) من ماله وأفضل
منك في الجاه فتصيب حاجتك بمجاهه وأفضل منك في الدين
فتزداد صلاحاً بصلاحه . ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك
وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تخبر عدوك انك له عدو
فتنذره نفسك وتؤذنه (٢) بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله
على التسلمح لك وتوقد ناره عليك

اعلم ان اعظم خطر لك ان ترى عدوك انك لا تتخذه
عدواً فان ذلك غرة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت
قدرت فاستطعت اغتفارا لعداوته عن ان تكفى بها فهناك
استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئاً بالعداوة والضرر
فاليك ان تكفى عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة
بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والمار . واعلم مع ذلك انه
ليس كل العداوة والضرر يكافئ بمثله كالخيانة لا تكافئ بالخيانة

(١) افاد مثل استفاد (٢) اذن بالشئ علم ومنه —

النزير فاذا نوا بحرب من الله ورسوله

والسرقة لا تكافأ بالسرقة ومن الحيلة في امرك مع عدوك ان
 ان تصادق اصدقائه وتوأخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم في
 سبيل الشقاق والتجافي فانه ليس رجل ذو طرق (١) يتمتع من
 مؤاخذاتك اذا التمت ذلك منه وان كان اخوان عدوك غير
 ذوي طرق فلا عدوك * لا تدع مع السكوت عن شتم عدوك
 اخضاء معاييه ومثالبه واتباع عوراته حتى لا يشذ عنك من
 ذلك صغير ولا كبير من غير ان تشيع عليه فيتقرب به ويستعد
 له او تذكره في غير موضعه فتكون كمتعرض الهواء بنبله
 قبل امكان الرمي * لا تأخذن اللعن والشتم على عدوك سلاحاً
 فانه لا يجرح في نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة * ان
 اردت ان تكون داهياً فلا تحب ان تسمى داهياً فانه من عرف
 بالدهاء خاتل علانية وحذرته الناس حتى يتمتع منه الضعيف
 وان من ارب الارب دفن اربه ما استطاع حتى يعرف
 بالمساحة في الخليفة والطريقة ومن أربه ألا يؤارب العاقل
 المستقيم له الذي يطالع على غامض اربه فيمقته عليه

(١) اي صاحب مداخلات كما يقال في هذه الايام

ان اردت السلامة فأشمر قلبك الهيبة للامور من غير
 ان تظاهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجرهم عليك ويدعو
 ذلك اليك منهم كل ما تهاب فأشعب لمداراة ذلك من كتمان
 المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفة رأيك . وان ابتليت
 بمجازاة عدو مخائف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من
 استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحنذر في
 امرك والجـراءة في قلبك حتى تملأ قلبك جراءة ويستفرغ
 عمالك الحذر

ان عدوك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه
 فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز
 انصارك في الغلبة ان تحصي على نفسك العيوب والعيورات
 كلما احصيتها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه
 لاحد من الناس هل قارفت مثله او مشاكسه فان كنت
 قارفت منه شيئاً فأحصه فيما تحصي على نفسك حتى اذا
 احصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحسين
 عورتك واحرار مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسياً مصبحاً فاذا

لأنت منها دفماً لذلك أو تهاوناً به فأعدد نفسك عاجزاً ضائعاً
 جانياً معوراً (١) لعدوك ممكناً له من رميك وإن حصل من عيوبك
 بعض ما لا تقدر على إصلاحه من أمر قد مضى يعيبك عند
 الناس ولا تراه أنت عيباً فاحفظ ذلك وما عسى أن يقول فيه
 قائل من حسبك أو مثالب أبائك أو عيب أخوانك ثم اجعل
 ذلك كله نصب عينيك واعلم أن عدوك يريدك بذلك فلا تغفل
 عن التهيؤ له والأعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سرا
 وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدين له ولا
 تشتغلن به فانه لا يهولك ما لم يقع وإذا وقع اضمحل

اعلم انه قلما بدد (٢) احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان
 يطمع في اخفائه عن الناس فيغيره به معير عند السلطان أو
 غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعينه ولسانه للذي يبدو
 منه عند ذلك والذي يكون من انكساره وفتوره عند
 تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتها

(١) من اعور الفارس اذا بدا فيه موضع خال للضرب

(٢) فوجىء

واعلم ان من اوقع الامور في الدين وانها كها للجسد
 واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار
 الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم (١)
 ما عنده وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن وانما النساء اشباه
 وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجئ ولا تهن على
 معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما
 عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما المترغب عما في رحله
 منهن الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في
 بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في
 رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم
 من النساء . ومن العجب ان الرجل الذي لا لباس في لبه يرى
 المرأة من بعيد متلففة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال
 حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم
 منها على اقبح القبح وادم الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا
 يزال مشغوفاً بما لم يذق حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة

(١) اجم الطعام وغيره كرهه وماه

واحدة لظن ان لها شيئاً غير شأن ما ذاق وهذا هو الحق
والشقاء ومن لم يحكم نفسه ويظفها (١) ويجلبها عن الطعام
والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ايسر
ما يصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار
شهوته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا محادماً لنفسه في
امر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي امر مرقته
عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند الريبة والشبهة والطمع
ان استطعت ان تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس
ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق
المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي
تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزينهم من
كلامك ورأيت ما لم تزين هو الجمال

لا يعجبك العالم ما لم يكن عالماً بمواضع ما يعلم . ان
غابت على الكلام وقتاً فلا تغلبن على السكوت فانه لعله يكون

(١) ظلف نفسه عن الشيء منعها عن ان تاتيها قال الشاعر

لقد اظلف النفس عن مطعم اذا ما تهافت ذبانه

الراء واعرفه ولا تمنعك حذر الراء من حسن المناظرة والمجادلة
واعلم ان المارِية هو الذي لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم
منه فان زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان
المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر اليقينة فانه يخاضع الى غير
قائس وانما قضيه الذي لا يعدو بالخصوصة الا اليه عدل صاحبه
وعقله فان آنس اورجا من صاحبه عدلا يقضي به على نفسه
فتد اسباب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممارياً

ان استطعت الا تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا
وانت محتجن عنه بعض ذلك التماساً لفضل الفعل على القول
واستعداداً لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل
على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان احكام هذه
الخالقة من غرائب الخلال

اذا تراكت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح (١) في
مدافعها بالروغان (٢) منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها
وان الصبر عليها هو محتقها وان الضجر منها هو يراكمها عليك

(١) الاستراحة (٢) راغ روغاً وروغاً حاد

فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعترى بعض اصحاب
الاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل
آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخير فيكدر ذلك بنفسه
تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتي لا يحكم واحداً
منهما فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار
به من الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتي
تفرغ منه ولا يعظم عليك فوت مافات وتأخير ما تأخر اذا
اعملت الرأي معمله وجعلت شغلك في حقه

اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها
واعلم انك ان جاوزت الناية في العبادة صرت الى التقصير
وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في تكلف
رضي الناس والخلة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحشود (١)
اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان نبي وبعض العلم

(١) في لسان العرب اصنع الرجل اذا اعان اخرق واما المحشود
فهو الرجل المحفوف بالجماعات يقال محفود محشود والمعنى ظاهر من
العبارة

جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جوراً ولا يانك
هذراً ولا عليك جهلاً فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك امامليحة واماراة
فاذا اعجبتك كنت خليفاً بان تحفظها فان الحفظ موكل بما
راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على
ذلك التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجب
لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم ترد وقع من
السامعين موقعه منك فازدجر عن العود فان العجب من غير
عجيب سنف شديد وقد رأينا من الناس من يعاق الشيء ولا
يقلم عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود
ثم يعود

اياك والاخبار الرائعة وتحفظك منها فان الانسان من
شأنه الحرص على الاخبار لاسيما ما راع منها فاكثر الناس من
يحدث بما سمع ولا يالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق
ومزراة بالرأي فان استطعت الا تنخر بشيء الا وانت به
مصدق وألا يكون تصديقك الا ببرهان فافعل

ولا تقل كما يقول السفهاء اخبر بما سمعت فإن الكذب
أكثر ما أنت سامع وإن السفهاء أكثر من هو قائل وإنك إن
صرت للاحاديث واعباً وحاملاً كان ما تعي وتحمل عن العامة
أكثر مما يُفترع المخترع بأضعاف

انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بساطتان
ومنزلة ومن دون ذلك من الخلفاء والاكفاء والاخوان
فوطن نفسك في صيته على ان تقبل منه العفو وتسخر
عما اعتاص (١) مما قبله غير معاتب ولا مستبطيء ولا مستزید
فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضى
بالعفو والمسامحة فى الخلق مقرب لك كل ما تنوق اليه نفسك
مع بقاء العرض والودة والمروءة

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان بسفه السفه سيطلع
لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكانك قد رضيت ما اتى
به فاجتنب ان تحتذى مثاله فان كان ذلك عندك مذموماً فحقق
ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تدمه ويمثله (٢) فليس ذلك

لك « لا تصاحب احداً وان استأنت به اخا قرابة او اخا
مودة ولا والداً ولا ولداً الا بمروءة فان كثيراً من اهل المروءة
قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يصحبوا كثيراً من
الخصاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صفة المروءة
ووقارها احدث له في قلبه رقة شأن وخفة منزلة

لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأي
ولا تجترئن على تقريره وتبكيته بظنرك اذا استبان وحيثك
اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك
على ان يتعقبوا الكلمة بعد مائتي فيلتمسوا فيها الحجة ثم
يستطيروا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في
الاخلاق

لا يعجبك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان
السلطة اوشك امور الدنيا زوالاً ولا يعجبك اكرامهم اياك
للسبب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين
والدنيا ولكن اذا أكرمت على دين او مروءة فذلك فليعجبك
فان المروءة لا ترايك في الدنيا والدين لا ترايك في الآخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او
سمعت امن قتل في القتال، قبلا اكثر ممن قتل مدبرا وانظر
امن يطلب اليك بالاجال والتكريم احق ان تسخو اليه نفسك
بطباته امن يطلب اليك بالشره

اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر
بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذاك او يضره فلا يستخفك
ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان
صديقك اذا وثق بك في موطن المحاماة لم يحفل ما تركت
مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في
امر عدوك الا تذكره الا حيث يضره وألا تعد يسير الضر
ضراً

اعلم ان الرجل قد يكون حليماً فيجمله الحرص على ان
يقال جليد والمخافة ان يقال مبین على ان يتكاف الجهل وقد
يكون الرجل زهياً فيجمله الحرص على ان يقال لسن والمخافة
من ان يقال عي على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرا
فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كاه

إذا بدهك امران لا تدري ايها اصوب فانظر ايها
اقرب الى هواك نخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى
ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم
فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرتك ويكون
استغناؤك عنهم في نزاهة عزمك وبقاء عزك

لا تجالس اصراء بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل
بالعلم والجاني بالفقه والعي بالبيان لم تزد على ان تضع عقلك
وتؤدي جليستك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف وغمك اياه
بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي
لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عاوده
ونصبوا (١) له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجماعوه جهلا
حتى ان كثيرا من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على
الناس يحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به

ليعلم صاحبك انك حبيب (٢) على صاحبه واياك ان عاشر

١) نصب فلان فلان اذا قصد له وعاداه وتجرد له

(٢) مشفق

امروء ورافقتك ان لا يري منك باحد من اصحابه واخذانه
 رافة فان ذلك يأخذ من القلوب مأخذاً وان لظلمتك بصاحب
 صاحبك احسن عند موقفاً من لظلمتك به نفسه

اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يمتد على المتألق
 ويشكر المكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره
 وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكون منك
 التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليستك ولا يجرئك
 على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه
 سيمتعض من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في
 قلبه ذلك القول خطأ تخاف ان يمتد (١) عليه او مضرة
 تخشاها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون
 ايسر للنقض وابعد للبغضة

واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من
 المودة صامتاً فان الصمت يدعوها اليك وناطقاً بالحسن فان

المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسهل سخيمة (١) الوغر
واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشى القصد (٢)
من دواعي المودة اذا لم يخالف ذلك بأو ولا عجب اما
المعجب فهو من دواعي المقت والشنان

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن
الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلمة التلفت الى
الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول
واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون
بل الرأي كله غرر (٣) لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة
ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز
بل ربما عي الحزمة ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك
برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه
لوماً وعدلاً تقول انت فعلت هذا بي وانت امرتني ولو لا

(١) السخيمة الحقد والموجدة في النفس والوغر من الوغر
وهو الاحتراق من الغيظ (٢) القصد استقامة الطريق ومنه
قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل (٣) خطر

انت ولا جرم لا اطيعك فان هذا كله ضجر ونؤم وخفة وان
كنت انت المشير فعمل برأيك او ترك فبداصوابك فلا تمتن
ولا تكثرن ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان
استبان في تركه ضرراً تقول الم اقل لك الم افعل فان هذا
مجانب لادب الحكماء

اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجن (١) صواب ما تأتي
به ويذهب بهجته ويزريه بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان
يفضي اليك بذات نفسه ومن الاخلاق السيئة على كل حال
مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن
الاخلاق التي انت جدير بتركها اذا حدث الرجل حديثاً تعرفه
الا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتي كأنك تظهر للناس
بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك
ان تهنته بذلك وتفرده به وهذا الباب من ابواب البخل
وابواب الغامضة كثيرة

واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التناول

عليهم في البلاغة او النصيحة

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان
شدة الاتقاء يدعو اليك ما تنقي ان رأيت نفسك تصاغت
الدنيا اودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا
يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة
ولكنها ضجراء واستخذاء (١) وتغير نفس عند ما اعجزك من
الدنيا وغضب منك عليها مما اتوى عليك منها ولو تمت على
رفضها وامسكت عن طلبها او شككت ان ترى من نفسك من
الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول باضعاف ولكن اذا
دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها
اعرف عورتك واياك ان تعرض باحد فيما شاركتها واذا
ذكرت من احد خليفته فلا تناضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه
فتتهم بمثلها ولا تلج كل الاحراج ولا يكن ما كان منك من غير
اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب واذا كنت في جماعة
قوم ابدا فلا تعمن جيلا من الناس او امة بشتم ولا ذم فانك

لا تدري نعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم
ولا تذمن مع ذلك اسماً من اسماء الرجال والنساء بان
تقول ان هذا اقميح من الاسماء فانك لا تدري لعل ذلك
موافق لبعض جلسائك في بعض اسماء الاهلين والحرم ولا
تستصغر من هذا شيئاً فبكره يجرح في انقاب، وجرح اللسان
اشد من جرح اليد

اعلم ان الناس يخذعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال
في التماس مثالبهم ومساوئهم ونقيصتهم وكل ذلك ايمن عند
سامعيه من وضح الصبح فلا تكونن من ذلك في غرور ولا
تجعلن نفسك من اهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان
رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجاً من
سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان
خارجاً من سلطان فربه فلا يدعو اليه مؤتة ولا يستخف له رأياً
ولا بدلاً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او
منفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بد القائلين

عادياً وكان لا يدخل في دعوي ولا يشرك في مرء ولا يدلي
 بحجة حتي يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً وكان لا يلوم أحداً
 على ما قد يكون العذر في مثله حتي يعلم ما اعتذاره وكان لا
 يشكو وجعاً الى من يرجو عند البرء ولا يصحب الا من
 يرجو عنده النصيحة لها جميعاً وكان لا يتبرم ولا يتسخط
 ولا يتشهي ولا يتشكى ولا ينتقم من الولي ولا يفتل عن
 العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشي من اهتمامه بحياته
 وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطلقت وابن تطيق ولكن
 اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق
 كان يرى متضاعفاً مستضعفاً فاذا جاء الجاد فهو اللبث

